وضع اليهود في العراق السياسي والاقتصادي(١٩٢١ – ١٩٤٥م)

م.م. ميثم علي حسن كاظم
Maytham mhrg@gmail.com
مدرس في تربية ذي قار/ قسم تربية الشطرة

الملخص

يتناول هذا الموضوع وضع اليهود السياسي والاقتصادي في العراق منذ السبي البابلي وحتى الحكم الملكي في العراق.

الكلمات المفتاحية: وضع اليهود، العراق السياسي، والاقتصادي(١٩٢١ – ١٩٤٥م).

The political and economic siuation the Jews in Iraq

(1921-1945)

Maitham Ali Hassan Kazem

Teacher in Dhiqar Eduction shatrah Education Department

Abstract

This topic deals with the political and economic situation of the Jews in Iraq from the Babylonian captivity until the monarchy in Iraq

Keywords: the situation of the Jews, Iraq's political and economic affairs (1921 - 1945 AD).

المقدمة

يرقى تاريخ الوجود اليهودي في العراق الى حقبة السبي البابلي عندما قام الملك البابلي (نبوخذ نصر) بالقضاء على مملكة يهوذا ومن نتائج هذه الحملة السيطرة الكاملة على بلاد الشام لغرض دفاعي واقتصادي عن المملكة هذه من ناحية ومن ناحية اخرى جلب العديد من الاسرى الى بابل. وبهذه الحقبة اخذ اليهودي بابل ممارسة مختلف الانشطة الاقتصادية الزراعة وتربية الحيوانات.

وبدخول العراق تحت السيطرة العثمانية (١٥١٦ – ١٩١٨) م عاش اليهود في ظل نظام متساهل فضلا عن اتسام اليهود بسلوك اخلاقي حسن وعدم وجود ما يمنع اختلاطهم بالمجتمع. اما على الصعيد الاقتصادي برعوا اليهود من ممارسة التجارة والصناعة والصيرفة. اما في حقبة الاحتلال البريطاني تعود العلاقات البريطانية ليهود العراق الى عام ١٨٢٠م متمثلة بنشاط

القنصل البريطاني في بغداد (كلوديوس جيمس) حيث ارتبطت الاخر بعلاقات مهمة مع شخصيات يهودية عراقية وبعد الاحتلال البريطاني العراقي ١٩١٨م استبشروا خيرا وهتفوا بالجنود البريطانيين.

اما الاوضاع الاقتصادية في ظل الاحتلال البريطاني للعراق كانت جيدة جدا حيث مارسوا نشاطهم التجاري والاقتصادي بحرية تامة.

اما في ظل الحكم الملكي من عام (١٩٢١- ١٩٣٣)م ازداد نفوذ اليهود سياسيا واقتصاديا بعد ان تشكلت اول حكومة عراقية بقيادة الملك فيصل ابن الحسين على العراق فتلقت الطائفة اليهودية هذا الحدث بفرحة عارمة كونها ترى الملك مفروضا من قبل البريطانيين على البلاد.

الفصل الاول

اليهود في العراق

تعتبر الطائفة اليهودية في العراق من اقدم الطوائف. اذ يرجع تاريخ وجودهم الى عهد الامبراطورية الاشورية الاخيرة (٩١١ – ٦١٢) ق.م وذلك في اعقاب الحملة التي قام بها الاشوريين على فلسطين وحرروها من اليهود وفيها انتقل اليهود كأسرى الى شمال ووسط العراق.

اما الرواية الاخرى وهي الاقرب الى الحقيقة ويعود تاريخ اليهود في العراق الى عصر (نبوخذ نصر) عندما غزى مملكة اليهود في سنة (٦٠١ – ٥٨٦) ق. م التي انتهت بسقوط اورشليم تحت الحكم البابلي وانهى حكم يهوذا [١]

ومن نتائج هذه الحرب ٤٢٠٠ اسير من الطائفة اليهودية ودخول (نبوخذ نصر) الى مدينة اورشليم حسب ما جاء في النصوص المسمارية ويسأل البعض ماهي اسباب غزو نبوخذ نصر الى فلسطين وكان السبب باعتبارها كانت منفذا تجارياً واستراتيجياً نحو البحر المتوسط وبلاد سوريا وفلسطين لأجل المحافظة على الوضع السياسي والاقتصادي لنبوخذ نصر [٢]

وذكرت المصادر التاريخية القديمة ان المركز الرئيسي لسكانهم كان على ضفاف نهر (خيبار) وفي مناطق اخرى من جنوب العراق منها (تل الملح) و (تل حرشا) ومدينة نفر وهذه المناطق الاخيرة تعتبر مراكز زراعية منحت لليهود [٣]

[١] – يعقوب يوسف كورية, يهود العراق, تاريخهم واموالهم وهجرتهم, الاهلية للنشر, ط١, ص٥-٦

[٢] – نبيل الربيعي , تاريخ يهود العراق, دار الرافدين, ص٢٥-٢٦

[٣] – علي كامل السرحان, الاقلية اليهودية في لواء الحلة, ١٩٢١ – ١٩٥٢, دراسة تاريخية لأحوالهم والاقتصاد والسياسة , رسالة ماجستير غير منشورة, كلية التربية, جامعة بابل ٢٠٠٩, ص٣٣-٣٤

وفي العصر الاخميني (٥٢٩ – ٥٥٩) ق.م سقطت بابل بيد كورش ملك الفرس عام (٥٣٩) ق.م وقد عرض كورش على اليهود ان يساعده في احتلال بابل مقابل ان يسمح لهم بالعودة الى فلسطين فتلقى جيشه كل التسهيلات اللازمة من اليهود بالمعلومات كاملة.

وكان لهم الفضل الكبير في احتلال بابل في فترة زمنية قصيرة جدا. وعرض كورش على اليهود بالعودة الى فلسطين مع تحمل نفقات رحلتهم وبناء هيكلهم. قسم تركو بابل وعادوا الى فلسطين والقسم الاخر انخرط في مفاصل الدولة [١]

وبعد سقوط الدولة الاخمينية على يد الاسكندر الكبير (٣٣٦) ق.م خضع بقايا اليهود في بابل للحكم الاغريقي مما جعلهم يفقدون الكثير مما كانوا يتمتعون به سابقا.

اما احوال اليهود في العهد الاسلامية حدد القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة صفة التعامل والتسامح مع اهل الكتاب ففي العصر العباسي (٧٥٠ – ١٢٥٨) م برزت العديد من الشخصيات اليهودية في مجال التجارة والمال مثل يوسف ابن فنحاس وهارون ابن عمران.

وفي عهد الجلائريين (١٣٣٨ – ١٤١١) م كان وضع اليهود لا يحسدون عليه ففي ١٣٤٤م نهيت املاكهم وخربت معابدهم [٢]

الفصل الثاني

اليهود في ظل السيطرة العثمانية على العراق

عندما توسعت حدود الدولة العثمانية واصبحت بورصة هي عاصمة دخلت تحت ظلالها العديد من اصحاب الديانات ومن بينها اليهودية ذكر ريموند اندريا في كتابه المدن العربية الكبرى في العصر العثماني أن الرحالة الدنماركي (نيبور) عندما زار العراق ١٧٦٥م فقال((أن الاقلية اليهودية في العراق كانت اقوى من باقي الأقليات الأخرى))[٣]

وهنا يعود السبب لمشاركتهم للأمراء والمماليك في نفوذهم والسلطة وذلك بسبب لسيطرتهم على التجارة واسواق المال .

وبعد أسترجاع بغداد ١٦٣٧م على يد السلطان العثماني مراد الرابع من الاحتلال الصفوي ساد العراق مرحلة من مراحل الاستقرار وانعكس هذا بشكل ايجابي على حياة اليهود في العراق وبهذا الاستقرار تقلد الوظائف المهمة في العراق ومن ابرز هذه الوظائف مستشارون ولاية البصرة وبغداد . اما في عهد الوالي مدحت باشا (١٨٦٩ – ١٨٧٢) م

[١] – علي كامل السرحان, المصدر السابق, ص٣٦-٣٧

[٢] – مجاهد منعثر, مختصر تاريخ يهود العراق, من (٩١١ – ٦١٢ ق.م) الى (١٩٦٨م) , ص١٣-١٤

٣) مجاهد منعثر المصدر السابق ، ص ١٩-٢٠

كانت من ضمن اصلاحاته في العراق الى اشراك الاهالي في أدارة أمور البلاد مع الموظفين الاتراك . بالأضافة الى عمل على أنشاء مجالس بلدية في كل ولاية وقضاء وناحية [١]

مع التأكيد على اشتراك انباء الأقليات في تلك الجالس واصبح للطائفة اليهودية سلطة خاصة لهم فكانت السلطة الموازية

سلطة الحاخام (سلطة الناسي) وهي مسؤولة على النشاط المالي لليهود فسميت (صراف باشي) يتم أختياره من أحد

افراد ارفع الاسر مكانة . وبعد سلطة الحاخام والناسي هنالك ثلاثة مجالس قسمت كالتالي

اولاً : مجلس الجسماني : وهو مختص بالأمور المدنية للطائفة.

ثانياً : مجلس الروحاني : وهو يهتم بالأمور الدينية الخاصة باليهود .

ثالثاً : مجلس العمومي: وهو المؤلف من ستين عضو من بغداد وعشرين إلى اربعين من باقي الولايات ومهمته تحديد انتخاب رئيس للطائفة مرة لكل اربع سنوات[٢]

وبعد انقلاب جمعية الاتحاد والترقية في الثالث والعشرين من تموز ١٩٠٨وأعلان دستور جديد انتخب ساسون حسقيل لمجلس المبعوثين الذي عقد في اسطنبول ويعد هذا مكسباً سياسياً واقتصادياً لليهود في العراق[٣]

وبدأت اعداد اليهود تتزايد بشكل ملحوظ وتتجه الى ولايات أخرى في ولاية الحلة والبصرة قادمة من أيران وبعض الدول المجاورة للعمل في ظل الواقع الاقتصادي الجيد الذي كان يسيطر عليه يهود العراق هذا على الصعيد السياسي والمالي[٤] اما على الصعيد الثقافي وفي بداية ١٨٨٣م اسست الطائفة اليهودية مدرسة (تلمود توراة) وهي اول مؤسسة تعليمية التي غلب عليها الطابع الديني وفي عام ١٨٦٥م اسس مدرسة الاليانس في بغداد وترأسها (المسيو ماكس) وبهذا استفاد اليهود من السيطرة العثمانية على العراق حيث اصبحوا يتمتعون بحقوق المواطن العراقي كاملة التي لم ينالها في العقود السابقة[٥]

١) مجاهد منعثر المصدر السابق ، ص ٢١-٢٠

)٢ ستانفورد ج رستو ، يهود الدولة العثمانية والجمهورية التركية ، ترجمة الصفصافي احمد القطراوي دار النشر ص ٢٧٣-٢٧٤

٣) ستانفورد ، المصدر السابق ، ص ٤١٥

٤) علي عبد القادر العبيدي ، مدارس الالياس الاسرائيلية واثرها في الطائفة اليهودية في العراق ١٨٦٤ – ١٩٥١ اطروحة دكتوارة غير منشورة / الكلية العلوم الانسانية والاجتماعية جامعة الجزائر – ٢٠٠٣ ص ٩٤

٥) علي عبد القادر، المصدر السابق ، ص ٩

((الفصل الثالث))

موقف اليهود من الاحتلال البريطاني للعراق

كما ذكرنا سابقاً أن اعداد اليهود كان في تزايد مستمر ، فقد قدر عددهم بـ (١٨٣٢٠) نسمة في عام ١٩٠٨ ، وحسب احصائيات السلطات البريطانية لعدد نفوس اليهود في العراق في عام ١٩٢٠(٨٧, ٤٨٨) الف نسمة موزعين في معظم المدن العراقية ومن ابرزهم ولايه بغداد ولاية البصرة ولاية الموصل[١] . كان البريطانيين عند زيارة احدهم الى العراق قبل الاحتلال يفضلون النزول عند العوائل اليهودية في عام(١٨٩١) عندما وصل الرحال البريطاني السير (واليس برج) الى الحلة طلب أن يكون نزوله عند العوائل اليهدوية ونزل عند اليهودي يعمل عند شركة (ويبر) البريطانية في الحلة وبدأت. العلاقات بين الاحتلال البريطاني واليهود في العراق امتدت جذورها إلى مطلع عام ١٨٢٠م متمثلة بنشاط القنصل البريطاني في بغداد كلوديوس جمس ريج حيث ارتبط الاخير بعلاقات مهمة مع شخصيات يهودية عراقية[٢] وفي عام ١٩١٨ وعند الاحتلال البريطاني للعراق بشكل كامل ، فنكروا جميل العثمانيين بحقهم ، واذا كانوا اليهود في العراق اكثر الناس فرحاً بالاحتلال البريطاني في العراق.

خرجوا معظمهم يصفقون للجنود البريطانيين ويبذلون اقصى جهدهم من اجل خدمة المحتل البريطاني والتعاون معهم[٣] ولعل سائل يدور في ذهنه سؤال عن سبب تصرف اليهود بهذه الصورة والجواب يكمن في أنى الطائفة اليهودية تسعى دائماً الى الحامية الاجنبية وبدأ الاهتمام البريطاني بيهود العراق خصوصاً لان هذه الطائفة كانت لها اهمية من الناحية الاقتصادية حيث كانت تسيطر على المال العراقي[٤] وبعد أن سيطر الاحتلال البريطاني على العراق بدأ الاهتمام بالطائفة اليهودية من خلال

١) تعيينهم بحجم كبير في المؤسسات الحكومة وبمناصب رفيعة .

٢) قبول تطوعهم في صفوف القوات البريطانية .

٣) عمل البعض منهم كموردين لتزويد معسكرات الجيش البريطاني بأحتياجاته من الاطعمة في المعسكر.

٤) اعطاءهم الاولوية في الصحة , التعليم[٥]

١) ستانفورد ج شو ، المصدر السابق ، ص ٤١٥

٢) مجاهد منعثر، المصدر السابق ، ص ٢٥

٣) مجاهد منعثر ، المصدر السابق ، ص ٢٥ – ٢٦

٤) احمد عثمان، تاريخ اليهود ، ج ٣ / مكتبة الشروق ، ص ٤١ – ٤٢

)٥ مجاهد منعثر ، المصدر السابق ، ص ٢٥

وفي عام ١٩٢٠ واجه الاحتلال البريطاني انتفاضة عارمة وعلى أثر هذه الانتفاضة اجرى استفتاء شعبي على الاطلاع على اراء العراقيين بشكل عام حول نوع الحكم المرغوب فيه وعزموا على تشكيل حكومة محلية في العراق .

إما الموقف ليهود العراق من هذه التطورات اعتراضهم فقدموا مضبطة يطالبون فيها بالحكم البريطاني المباشرعلى العراق فطالبوا أيضا بالجنسية البريطانية وهذا الفعل اعتبروا انفسهم ليس جزء من الشعب العراقي المنتفض[١] لقد ساهمت بريطانيا بعد احتلال العراق وضع تحت الانتداب بموجب مؤتمر سان ريمو في عام ١٩٢٠ بنشر الدعاية الصهيونية وفسح المجال لتوسع النشاط الصهيوني بين يهود العراق .

اما موقف الحكومة العراقية برئاسة (توفيق السيودي) في عام ١٩٢٩ حضر الانشطة الصهيونية في العراق وسحب التراخيص الممنوحة للجمعيات الصهيونية من قبل المندوب السامي البريطاني في العراق[٢].

الفصل الرابع

اليهود في ظل الحكم الملكي في العراق

بعد المباحثات المباشرة بين الحاخام الأكبر (موشي حييم) رئيس الطائفة اليهودية في العراق مع المندوب السامي البريطاني في العراق ومن جملة الأفكار للحاخام الأكبر (ان العرب غير قادرون على تحمل المسؤولية السياسية ، ويكونوا متعصبين طائفياً . الا ان المندوب السامي اقنع رئيس الطائفة اليهودية العراقية بضرورة تأسيس حكومة وطنية عراقية تحت رعاية الانتداب البريطاني[٣] يبدو ان موشي حييم أراد من المندوب السامي البريطاني بأقناعه على ان يبقى العراق تحت الانتداب البريطاني بدون حكومة وطنية. وفي عام ١٩٢١- ١٩٣٢ م توج فيصل ابن الحسين ملكاً على العراق فدخل البلاد في عصر جديد سمي بالعهد الملكي (١٩٢١ – ١٩٥٨) م فأستبشر الطائفة اليهودية بهذا الحدث بفرحة غامرة كونه ترى ذلك الملك مفوضاً من قبل بريطانيا على البلاد وبعد وصول الملك فيصل من سوريا قامت مجموعة من يهود العراق حفلاً بتاريخ ١٨ تموز من عام ١٩٢١ ثم التقى سليم افندي معاون رئيس الحاخام اليهودي بكلمة ترحيبية واهدوا لهُ نسخة من التوراة ثم ارتجل الملك فيصل كلمة قائلاً فيها :(انا لا اريد ان اسمع كلمة مسلمين ومسيح ويهود فالعراق وطن القومية وليس فيه امر واحد وهو عراقي فقط)[٤]

١) عبد الرزاق الحسيني، الثورة العراقية الكبرى / مكتبة النرجس ، ص ٩٨ – ٩٩

٢) مجاهد منعثر ، المصدر السابق ص ٣١

٣) مجاهد منعثر ، المصدر السابق ، ص٣٣ -٣٤

٤) فكري جواد عبد ، دور الطائفة اليهودية في تأسيس الدولة العراقية الحديثة ، ١٩٢١ مركز دراسات الكوفة ، ص ٢٠١

وسرعان ما تركت الأمور يتولى عهده وخليفة الملك غازي (١٩٣٣ – ١٩٣٩) م ولكن الملك غازي لم يكن كأبيه حيث اهمل الضغوط البريطانية ان الأقليات اليهودية في ذلك العهد استفادت من عدة قوانين لصالحها ومن ابرزها القانون الأساسي العراقي المادة السادسة والتي تضمنت لا فرق بين العراقيين في الحقوق امام القانون وان اختلفوا في القومية والدين واللغة[١]

وعلى اثر ذلك القانون تبوأ الكثير منهم على وظائف هامة في الدولة العراقية وسبب حصولهم ارتفاع مستوى التعليم ومعرفتهم باللغات الأجنبية أتيح لهم ممارسة الدور الفعال في الوصول الى مناصب عديدة في وزارة المالية والمحاسبات العامة والاشغال والمواصلات والبريد وميناء البصرة وسكك الحديد وكان من ابرزهم تولي ساسون حسقيل وزير المالية في اول حكومة عراقية تشكلت في عام ١٩٢٠[٢]

وعندما انتهى الانتداب البريطاني في الثالث من تشرين الأول ١٩٣٢ اصبح العراق دولة مستقلة من خلال قبولهُ عضو في عصبة الأمم فكان موقف اليهود من ذلك موقفاً ينتابه الحذر والقلق لكنهم كانوا على يقين بأن بريطانيا سوف لن تتخلى عنهم[٣] وهكذا في ظل العهد الملكي كان تعداد الطائفة اليهودية يزداد تبعاً للظروف الجديدة وبدعم بريطانيا.

((الخاتمة))

وفي الختام أرجو أن أكون قد وفقت بهذا العرض الاجمالي لتاريخ اليهود القديم اي منذ الاسر البابلي الى العهد الملكي في العراق . ومن خلال هذه الدراسة استنتجنا أن اليهود على يقين أن مصالحهم السياسية والاقتصادية فوق كل شيء أذ ساعد اليهود الغازي كورش على البابلين وتعانوا مع هولاكو ضد العباسيين وتعاونوا مع الدولة العثمانية ضد المغول فأنهم تعاونوا تعاون تام مع الاحتلال البريطاني وفرحوا واستبشروا خير بهذا الاحتلال فنكروا جميل العثمانيين يحقهم عندما عاملوهم كرعايا اسوة بباقي رعايا الدولة العثمانية متساوين في الحقوق والواجبات.

المصادر والمراجع العربية

١- يعقوب يوسف كورية، يهود العراق ، تاريخهم واحوالهم وهجرتهم الاهلية للنشر/ط١، عام٢٠٠١.

٢- نبيل الربيعي ، تاريخ يهود العراق ، دار الرافدين ، ط١ سنة ٢٠٠٣.

٣- مجاهد منعثر ، مختصر تاريخ يهود العراق من (٩١١ – ٦١٢ ق.م الى ١٩٦٨ م) .

١) مجاهد منعثر المصدر السابق

٢) مجاهد منعثر ، المصدر السابق ص ٤٠ – ٤٣

٣) يعقوب يوسف كورية ، المصدر السابق ، ص ٣٥- ٣٦

٤- فكري جواد عبد ، دور الطائفة اليهودية في تأسيس الدولة العراقية الحديثة١٩٢١ ،مركز دراسات الكوفة.

٥- عبد الرزاق الحسني ، الثورة العراقية الكبرى ، مكتبة النرجس ، ط١

٦- احمد عثمان ، تاريخ اليهود ، ج٣ ، مكتبة الشروق ، ط١

- الكتب المعربة .

١- ستانفورد ج ستو ، يهود الدولة العثمانية والجمهورية التركية ترجمة الصفصافي احمد القطوري ، دار النشر ط١

- الرسائل والاطاريح .

١- علي كامل السرحان ، الأقلية اليهودية في لواء الحلة ، (١٩٢١ – ١٩٥٢) دراسة تاريخية لأحوالهم والاقتصاد والسياسة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية جامعة بابل عام ٢٠٠٩ .

٢- علي عبد القادر العبيدي ، مدارس الاليانس الإسرائيلية واثرها في الطائفة اليهودية في العراق (١٨٦٤ – ١٩٥١) أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة الجزائر ، ٢٠٠٣